فكرة البعث في الديانات القديمة
(البوذية – الجانتيه – الهندوسية – الزرادشتية)

بحث من إعداد دكتور

محمد السيد عبد الحليم عطيه قنديل

كلية اللغة العربية – الزقازيق

جامعة الأزهر

مقارنة الأديان

قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

(صدق الله العظيم)

سورة الأعراف آية : ٨٩

فكرة البعث في الديانات القديمة
(البوذية – الجانتيه – الهندوسية – الزرادشتية)

بحث من إعداد دكتور

محمد السيد عبد الحليم عطيه قنديل

كلية اللغة العربية – الزقازيق

جامعة الأزهر

مقارنة الأديان

مقدمة

إن الإنسان قد بدأ حياته متوحشاً مجردا من الأخلاق ، لكنه أصبح في وقت ما صاحب وازع أخلاقي ، عندما أحس به ، وتعلم كيف يستمع باحترام إلى الأصوات الباطنة المنبعثة من قرارة نفسه.

كان الإنسان الأول كل ما يأتيه من الأعمال عن طريق الغريزة، لذلك يعد شعوره لأول مرة بالسلوك أو الأخلاق تقدما هائلا في حياة البشر حتى وصل إلى إدراك ان من السلوك ما يستحسن وما يستهجن .

فكان ظهور هذا الإدراك خطوة نحو انبثاق الضمير ، وكان له الأثر الفعال في المجتمع والواقع أنه لا توجد قوة أثرت في حياة الإنسان القديم مثل قوة الدين.

والإنسان أينما وجد يتحسس دائماً مكان الروح منه، وحين لا يجدها في كيانه تشتد لهفته عليها ، ويكثر وسواسه من جهتها ، ثم لا يفتر عن طلبها ، ومن الناس من يعثر عليها من قريب ، ومن الناس من تطول أيام العزلة والغربة بينه وبين روحه فتبعد الشقة بينه وبينها

، فهو كحاطب ليل ، يقف حائراً على رؤوس الطرق تأكله الحيرة وينهشه القلق وتتعثر قدمه على الطريق المستقيم .

والإنسان في حياته يتعامل مع الطبيعة وهو لا يدري من أمرها شيئاً ، فأخذ الخوف والحذر يملئ نفس الإنسان ، مما جعله يبحث عن جهة يسند إليها ظهره، ويجد في كنفها شيئاً من الأمن والأمان، وقد التمسها الإنسان مرة في ذات الكائن الذي يخافه فتقدم إليه بالولاء ، كما طلبها من موالاة القوى جميعها ، ليضمن رضاها جميعاً ويتوقى شرها جميعاً ، ونتيجة لذلك أصبحت جميع قوى الطبيعة آلهة تعبد ، وما ينفع منها ؛ فلاجتلاب نفعه واستدامته ، وما يؤذي ؛ فلدفع أذاه واتقاء شره .

لقد مد الإنسان يد المودة والصداقة لموجودات الطبيعة كلها ، وهو نازل على شرطها باذل لها كل ما يرضيها ، متجنب كل ما يسخطها ، ولو كان في ذلك ذهاب نفسه أو تلف عضو من أعضائه ، إلا أن الطبيعة تقف أمام كل ذلك صامته لا تتحدث مع الإنسان ولا ترد له جواباً .

وإذا نظرنا إلى بعض الديانات القديمة في الهند ، بلاد فارس مثلاً ، نجد في الهند قد زاعت عقيدة الإنطواء على النفس ، والإزدراء من الحياة ، والزهد فيها ، والتحامل على الجسد ، ليكون عوداً هشاً لا يستعصي على منجل الموت حين الحصاد .

كما نجد أن التشاؤم قد غلب على الهنود ، فانحازوا في جملتهم إلى جانب الموت والفناء وغلب التفأول على الفرس فانحازوا جميعاً إلى موكب النور والخير .

وقد قال بوذا عن السعادة أو الشقاوة أنهما نتيجة السلوك الإنساني والشهوة الإنسانية وقد حاول بوذا أو غيره من أصحاب

الديانات القديمة الاتصال بما وراء الطبيعة عن طريق إطفاء جذوة العقل . وذلك بالرياضة التي تجور على الجسد وترهقه ، والتي من شأنها أن تفسح المجال للروح .

وفي الهند هناك ملايين ممن يؤمنون بالبوذية ، والجانتيه ...و هناك طائفة البرهمية ...و هناك عبدة الأشجار والأنهار والأرواح ... و هناك من يؤمن بعبادة الثعابين ... كما أن هناك كثيرين يعبدون الأبقار والثيران .

وقد تسلطت فكرة الحياة بعد الموت على العقل الإنساني منذ وجود الإنسان ومنذ رأى الموت يتخطف الناس من حوله ، والموت هو الذي أثار في الإنسان غريزة التدين وما يتصل بها من البحث عن الإله، أو الآلهة .

لقد اطمأن الإنسان منذ وجد إلى حقيقة لا جدال فيها ، وهي أن في الجسد روحاً تبقى بعد حالة الموت التي تنال الأجساد ، فتعود إلى الحياة مرة أخرى في هيئة التناسخ الذى سأوضحه في بحثي هذا إن شاء الله، وهذا الأمر موجود في البوذية والجانتيه والهندوسية.

وقد تناولت في بحثي هذا مقدمة البحث ، ثم بعد ذلك تسعة مباحث ، في المبحث الأول : نظرة إلى المجتمع الهندي الأول ، وفي المبحث الثاني: قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية، والمبحث الثالث: من أفعال الله البعث ، وفي المبحث الرابع : فكرة البعث في الديانة البوذية ، والمبحث الخامس فكرة البعث في الديانة الجانتيه والمبحث السادس : فكرة البعث في الديانة الهندوسية ، والمبحث السابع : فكرة البعث في الديانة الزرادشتية، والمبحث الثامن : المجتمع الهندي بعد بوذا ، براهمة مهافيرا ، والمبحث التاسع : المجتمع الفارسي بعد زرادشت ، ثم الخاتمة ، فأهم المراجع .

وأحب أن أنوه إلى أهمية هذه الدراسة بالنسبة للباحث حيث استطاع أن يغوص في أمهات الكتب ، والمراجع العلمية ، الخاصة بالديانات القديمة ، وهذه إضافة علمية لا بأس بها للباحث .

كما أن لهذه الدراسة أهمية إن شاء الله تعالى ، في التعرف على فكرة البعث في الديانات القديمة ... و ما إلى ذلك من عناوين سأتناولها إن شاء الله تعالى في بحثي هذا بالعرض والتحليل تارة ، وبالنقد تارة أخرى .

أما عن أهداف البحث ، هو معرفة أوجه الشبه والاختلاف لفكرة البعث في الديانات القديمة (البوذية – الجانتيه – الهندوسية – الزرادشتيه) ، وماذا أضافت كل ديانة من هذه الديانات للديانة الأخرى ، وارتباط فكرة البعث بالإله ، أو الآلهة إن وجدت وماذا يترتب على البعث من ثواب وعقاب ؟

وقد استخدمت المنهج التحليلي أو التفسيري المقارن ، والمنهج التحليلي قد استخدمته في بعض الأحيان أثناء عرض الفكرة، أما المنهج المقارن فقد استخدمته في البحث عن جوانب التشابه والتباين إضافة الجديد في الفكر .

وكذلك فان تعقب فكرة البعث منذ نشأتها في الماضي يحقق الوقوف على عوامل تغيرها وتطورها .

(المبحث الأول)
نظرة إلى المجتمع الهندي الأول

كان بالهند شعبان في صراع مستمر ، الأول شعب اسمر اللون يسمى " درا فيدي " وهو يمثل سكان البلاد الأصليين ، والثاني شعب ابيض اللون وهو الشعب " الآري " الذي انحدر إلى الهند على اغلب الظن من وسط آسيا ، وانتهى الصراع بتغلب الآريين على الدرافيديين.

ولكن ماذا كانت ديانة الهنود الأقدمين ؟

على الأرجح أن هؤلاء القدامى كانوا يتخذون من المظاهر الطبيعية القوية آلهة يتقربون إليها ، وأنهم كانوا يرمزون لألهتهم هذه بتماثيل .... وقد كان من الطبيعي أن يكون لديانة هؤلاء القدامى تأثير في ديانة الآريين الفاتحين .

وكان هؤلاء الآريون اقرب إلى المهاجرين منهم إلى الفاتحين[١]. لذلك كانوا يريدون أرضاً ومرعى لماشيتهم ، ولم ينشأ بينهم وبين سكان الهند الأصليين التزاوج المطلوب إلا نادراً ، حيث كان الآريون يصطحبون معهم نساءهم وأطفالهم ، لذلك نشأت الطبقات ، فأصبح الآريون طبقة السادة العليا ، وغيرهم طبقات دنيا .

فمن الآريين ظهرت طبقة رجال الدين (البراهمة Brahaman)، وطبقة المحاربين (Kastria) ، ومن الطورانيين الذين دخلوا الهند من الباب الشرقي (الشعوب الصفراء) تكونت طبقة التجار والصناع (Vaisya)، أما الهنود الذين اتصلوا بالطورانيين فقد أوجد الآريون منهم طبقة العبيد والخدم ، أما السكان الأصليون فقد انعزلوا عن

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة .القاهرة ترجمة د. زكي محمود نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الثالث من المجلد الاول ، ط٣ ،١٩٦٨ م ، ص ٢١ .

الفـاتحين ، وظلـوا طريـدي المجتمـع أو منبـوذين (Ontcastes) [1].

وقد عرف الهنود القدماء عبادة الحيوانات ، وبصفة خاصة عبادة البقر لاعتقادهم بأن الإله يتجلى في بعض الأحياء فيحل فيها وهذا هو تجسم الإله ، أو لأنهم آمنوا بالنتائج فجاز عندهم أن يكون الحيوان جداً قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة مرة أخرى عن طريق التناسخ .

كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة ، لذلك كثر فيهم التبتل في الكهوف ، والانعزال في الغابات لإتعاب الأبدان لترقى من الناحية الروحية ، ومن اجل السيطرة على القوى الكونية .

وقد تولدت من احتكاك الآريين بالهنود الأصليين تقاليد وطقوس هندوسية اعتبرت ديناً يدين به الهنود على مر العصور والأزمان .

(١) د. احمد شلبي . أديان الهند الكبرى . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ط٩ ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٩ .

(المبحث الثاني)
قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية

لا يعرف سبب مجئ الآريين إلى هضبة إيران ، قدم الآريون الهضبة ووجدوا فيها قوماً اقل منهم من حيث الشكل والعنصر ، والعادات والأخلاق ، والمذاهب ، لذا لم يعترفوا لهم بأي حق في بداية الأمر ، بل كانوا في حرب وصراع دائمين معهم فكانوا يقتلونهم حيث وجدوهم .

لكن ما هو مذهب الآريون وأخلاقهم ؟

كان آريو إيران يعتقدون بوجود أرواح عديدة خيرة وطيبة تهب الإنسان الكنوز وذخائر الطبيعة ، وأهمها النور والغيث ، وكذلك يعتقدون بوجود أرواح شريرة مظلمة تتصارع والأرواح الخيرة ، ولا تريد أن يكون الإنسان سعيداً ، وكانوا يعدون الليل والشتاء ، والسنوات العجاف والقحط ، والإمراض والموت ... من الأرواح الشريرة ويتضح كذلك أنهم كانوا يعبدون الأرواح الأولى ، ويسبحون بحمدها والثناء عليها ويبدون لها الخضوع ، في حين أنهم يعدون الأرواح الشريرة عدواً لهم ، فكانوا يتوسلون بقراءة الأوراد حماية من شرورها ، وأصبحت تلك الأوراد سبباً في انتشار السحر والشعوذة بعد ذلك .

لكن زرادشت ثار على كل ذلك لنستنتج أن آريي إيران كانوا يعبدون العناصر كآريي الهند ، ثم ترقوا في معتقداتهم ، حتى وصلوا إلى مرحلة التوحيد[1] .

ومع ظهور زرادشت رسخت عبادة الإله الواحد ، ويعتبر الإيرانيون القدماء أن الكذب احد كبائر الأرواح الشريرة .

(المبحث الثالث)

(١) حسن بيرنيا . تاريخ إيران القديم . القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ط٢ ، ١٩٩٢ م ، ص ٢١ .

من أفعال الله البعث

يقال في اللغة : بعثه : أي أرسله ... و يقال تباعثوا بالخير : أي تواصلوا عليه .... ويوم البعث : هو اليوم الذي يبعثنا الله تعالى فيه من قبورنا .

إلا أن هذا المعنى مختلف تمام الاختلاف في كثير من الديانات القديمة كما سنوضح ذلك في المباحث التالية ، وبما أن البعث مرتبط بالله ، فكان لزاماً على أن أوضح في عجالة سريعة فكرة الألوهية في الديانات القديمة .

ففي البوذية ، لم يشأ بوذا أن يقحم نفسه ومذهبه في أي شيء له علاقة لما بعد الطبيعة ، بل لم يتحدث عن الإله على أصح الأقوال ، وإن كان بعض مؤرخي الفلسفة رووا عنه انه تعرض للألوهية بالإنكار ، وقد صرح بوذا بأن ليس هناك إله وإنما روح عام متغلغل في كل شيء . وكان بوذا ينهي أصحابه وزواره أن يخوضوا بالحديث عن الإله ، لكنه كان يميل إلى جانب الإنكار أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله ، ومن أجل ذلك نجد أن أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله ، ويتحدثون عنه وعن وحدانيته أحاديث غامضة ومبهمة ، أو تنحدر إلى الدرك الأسفل فتجعل من الملوك أو رؤساء الكهنوت آلهة أو شبه آلهة[١] .

(١) حامد عبد القادر . بوذا الأكبر حياته وفلسفته . القاهرة ، دار نهضة مصر ، ص ١٢٧ .

لكن لا يعني ذلك أن البوذية ملحدة[1]. فهي ليست ديناً بقدر ما هي نظام وبالتالي فهي ليست مؤمنة ولا ملحدة .

وعلى هذا الأساس نجد أن البوذية لا تهتم باليوم الآخر ، وانك لن تجد في تاريخ الديانات من هو أغرب من بوذا يؤسس ديانة عالمية، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاش عن الأبدية والخلود والله، ولقد كان بوذا يؤمن أن القدسية والرضي لا يكونان في معرفة الله والكون الذي خلقه بيديه ، إنما يكونان في العيش الذي ينكر فيه الانسان ذاته ، ويبسط كفيه للناس إحساناً أعطوه أو منعوه .

أما الجينيون " فإنهم لا يؤمنون بكائن أسمى في السماء ....، ولا حتى بحقيقة خلود العالم"[2] إلا أنهم يؤمنون بكل الآلهة ، وأنصاف الآلهة والشياطين والجن وان الآلهة ليست قادرة على كل شيء ولا بالغة الفضيلة ... فللآلهة سقطاتهم الدنيوية ، وأنهم ليسوا أكثر قيمة بشكل قاطع عن بنى البشر .

لذلك نجد أن الإله عندهم لا ينال الخلاص أو النجاة إذا لم يمر بمرحلة الولادة البشرية ... فالخلاص لا يتمتع به إلا بنوا البشر ... بعض الآلهة يستحقون التقديس في بعض الأوقات ... كما يستحق قليل منهم أن يعبد بغير شك .

والآلهة تأكل كالبشر ... وتشرب مثلهم وتغنى ، كما أن الجانتيون قالوا أنه ليس من الضروري فرض وجود خالق أو سبب أول ، وأنه لأقرب إلى المنطق السليم أن نعتقد أن الكون كان موجوداً منذ الأزل ، ونحن نسألهم – ومن الذي أوجد هذا الكون منذ الأزل ؟ لاشك

---

(١) د. على زيعور . الفلسفات الهندية . بيروت ، دار الأندلس ، ط٢، ١٩٨٣م، ص ٢٢٨ .

(٢) سليمان مظهر. قصة الديانات. القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م، ص ١٦٣ .

انه الله رب الأرباب خالق السماوات والأرض ، وخالق كل شيء كما أنهم يرون أن تغيرات الكون وأطواره التي لانهاية لها ترجع إلى قوى كامنة في الطبيعة ، ولا تعزوا هذا كله إلى صناعة إلهَ! .

والفطرة دائما تبحث عن إله ، فعندما افرغ الجانتيون السماء من الإله الأعظم راحوا يؤلهون القديسين ويعبدونهم مخلصين لهم العبادة ، مقيمين لهم الشعائر لكنهم اعتبروا هؤلاء المؤلهين أنفسهم خاضعين للتناسخ والتحلل ، ولم يعدوهم خالقين للعالم أو سادة عليه يحكمونه[١] .

أما في الديانة الهندوسية ، فان فكرة الألوهية ، هي كثرة عدد الآلهة، فهناك إله النار وإله العاصفة ، وإله النبات ، وإله الشمس، ... كل هذه الأعداد من الآلهة خلقها الهندوس لأنفسهم معتمدين على العناصر الطبيعية ، ومع مرور الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم .

" وظل هذا الرب يعلو ويرتفع حتى صار ذات يوم يعبد على أنه الإله الواحد .." [٢] ثم صار هو " براهما " الذي يفني في نفسه كل شيء ... وبراهما هذا لا هو بالذكر ولا بالأنثى ، المحتوي لكل شيء ، والكامن في كل شيء ، الذي لا تدركه الحواس ... ويدخل في فكرة الألوهية عند الهندوس ، فكرة التثليث كما عند النصارى فبراهما عندهم هو الخالق ، وفشنو هو الحافظ ، وشيفا هو المدمر ، " والثلاثة في واحد " يسيطرون على الكون كله فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنما عبدهما جميعاً ، والعالم عند البراهمة ليس مخلداً ... فسيجيء

(١) ول ديورانت . مرجع سابق ، ص ٦٠ .
(٢) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

عليه يوم ينهار فيه كله بسبب النار والفيضان ... وسيتدخل الإله فشنو ويحول دون إحراق العالم وغرقه .

وهذه هي الآلهة الرئيسية ، وإن كان هناك أيضاً بضعة آلاف من الآلهة الصغيرة[١] .. وهناك قدسية للقردة والأفاعي، والتماسيح، والفئران ، والببغاوات ..والهندوس لا يري فرقاً بين الحيوان والإنسان ... لان لكل منهما روح .. والأرواح تمضي متنقلة دائما بين الحيوان والإنسان ... والبقرة أكثر الحيوانات قدسية عند الهندوس ، ومن يقتل بقرة يدخل جهنم بعدد شعرات البقرة من السنين ، وفي الوقت الحالي يعتبر ذبح البقرة جرماً يستحق الإعدام .

أما في الديانة الزرادشتية فهناك إله الخير الذي خلق كل شيء في العالم " أهورامزدا وهناك إله الشر الذي خلق كل شيء في العالم " أهرمان " ، ويجب على الإنسان أن يتبع روح الخير ، لأن الخير سينتصر في النهاية على الشر ، لأن الشر ليست له بصيرة حيث أن الإله الحكيم يذكر الماضي ويدرك المستقبل ، لكن روح الشر لا تعرف الماضي ولا المستقبل .

مملكة الإله لا تقتصر على إيران وحدها بل هي تشمل العالم كله ، وقد قال مانى مثل ذلك " إني جئت من بلاد بابل لأبلغ دعوتي للناس كافة " كما أن ماني اتفق مع زرادشت في أن عالمي النور والظلمة لا متناهيان من جوانب ثلاثة وإنهما يتلاقيان في الجانب الرابع[٢] واهورامزدا هو الإله الأعظم ... وهو قديم أزلي ، مجرد من جميع شوائب المادة ، لم يولد ولن يموت ، وهو روح الأرواح ، ولا

(١) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .
(٢) أرثر كريستسن ، إيران في عهد الساسانيين ، بيروت ، ترجمة د. يحيي الخشاب ، مراجعة د. عبد الوهاب عزام ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ م ص ١٧٢ – ١٧٣ .

تدركه عين أو بصر ، وهو يعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ، وهو قدير على كل شيء ، وهو معين لما لا معين له ... ومن أجل أن يتصور الناس هذه القوة الطبيعية الخفية وحتى تتقرب إلى أذهانهم فقد رمز إلى أهورامزدا برمزين ماديين مشاهدين تقوى عقول الجماهير على إدراكهما ، وحتى يتصوروا صفات أهورامزدا على وجه التقريب : هذان الرمزان هما الشمس والنار ، ويقول الزرادشتيون أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها لأنها مقدسة كرمز . كما أن الماء والأرض أيضاً مقدسان طاهران ، لذلك لا يحرقون جثث موتاهم ، إنما يضعونها على قمم الجبال العالية في أماكن تسمى " أبراج الصمت " تلتهمها الطيور الجارحة .

ويوم الحساب قريب . ففي ذلك اليوم ينتصر الإله الواحد على الشر ، وعندئذ يبعث الموتى ويقع النجم المذنب على الأرض ، فتشتعل وتذوب جميع المعادن فتنتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب ، وعلى الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا مجرى السيل الذي يبدوا للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ ، فيطهرهم المرور به ويمضون منه إلى الجنة .. أما الأرواح الشريرة فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب ، عندئذ ينتصر إله الخير على روح الشر ، وكل من يتبعه من الأرواح الخبيثة ، ويبدأ العالم السعيد الخير الذي لا شر فيه ويدوم سرمدياً .

المبحث الرابع
فكرة البعث في الديانة البوذية

إن الحديث عن النفس أو الروح ذو صلة وثيقة بقضية " البعث " أو الحياة بعد الموت ... فالإنسان حين يموت ، يبلي جسده ، وتتحلل أجزاؤه ، ويصير تراباً ، فإذا حدثته نفسه بالخلود وبالحياة بعد الموت نظر إلى هذا الأمر على النحو التالي :

١ – قوة إلهية قادرة على إحياء الموتى بعد موتهم وتحللهم .
٢ – عودة الروح للجسد بعد الموت ، و إلا فلا خلود للإنسان .

لكن أين تذهب الروح بعد مفارقة الجسد ؟ وكيف تعود إليه ! أهي ولادة جديدة وهل الخلود أو البعث لهذه القوة الروحية وحدها ؟ أم لها وللجسد معاً ؟ .

وقبل أن أجيب على هذه الأسئلة أجد أن بوذا قد رأى مقدساً حليق الرأس جوال متدين ، وهؤلاء الرجال المتدينون الجوالون هم الذين يعرفون باسم : الشرمانيين Shramanas " .

وهكذا تحول بوذا إلى حياة الزاهد المتجول ، املأ أن يجد حلاً لمشكلات الوجود البشري(١).

وبعد جهد جهيد استطاع بوذا أن يجد حلاً لهذه المشكلات في قانون التناسخ الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكارما والنرفانا ، وسأتعرض لهذه المسميات بشيء من التفصيل خاصة قضية التناسخ، والتي تعني

---

(١) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب . الكويت ترجمة د.إمام عبدالفتاح إمام ، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد ١٧٣ ، ١٩٩٣ م ، ص ٢١٧ . سلسلة عالم المعرفة .

في المفهوم البوذي من وجهة نظري بعثاً للروح ، ومع أن بوذا كان من المنكرين للروح[١]. إلا أنه يعد الإنسان للحياة بعد الموت في عالم " النرفانا " ! وأي شيء يكون للإنسان بعد موته يعيش به في النرفانا التي وعد بها بوذا أتباعه ... إذا لم يكن هناك شيء غير الجسد يعيش فيه الإنسان ويبقى بعد موته ؟

ولنوضح مفهوم التناسخ كما رآه بوذا : لا يتناسخ وتتكرر ولادته إلا الشرير في هذه الدنيا المليئة بالآلام والشقاء ، وإن الإنسان لمركب من جسم وروح ، ويفنى الجسم ، وتبقى النفس ، ويطول عمرها وتعيش في كثير من الأجساد معذية هائمة على الأرض حتى تتنقى وتكمل ، وعندئذ ترتقي إلى النرفانا ، وهكذا نرى أن التناسخ قنطرة إلى النرفانا، وأن التناسخ ما كان يحدث إلا بسبب ارتكاب المعاصي بالنسبة للإنسان في حياته الدنيا ، وهذا ما يعرف بعقيدة الكارما عند بوذا ، وإن القاتل ليعاقب في الدنيا بأن يعود ويعود للحياة والعذاب بعد موته ، والانتحار لا يمنع التناسخ ، ورحلة الروح في الحياة الدنيا ومن ثم إلى الحياة السماوية ، تمر عبر هجرات متتابعة للروح تتنقل خلالها من جسم لآخر حتى تتخلص من سجن الأجسام وحينئذ تفنى في النرفانا أو النعيم السماوي[٢].

وبوذا يؤمن برابطة الدم بين المخلوقات سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو حشرة أو ثعبان .. فانتقال روح الإنسان بعد موته . قد تنتقل إلى جسد إنسان شرير حسب عمله في حياته الأولى ، أو إلى جسد إنسان طيب إن كانت أعماله طيبة في حياته قبل موته ، وقد تنتقل روحه بعد موته إلى جسد حيوان أو حشرة أو ثعبان أيضاً .

---

(١) عبد الكريم الخطيب. الله والإنسان. دار الفكر العربي، ص١٤٨ .
(٢) د. عبد الجليل شلبي . عظماء قادة الأديان . القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ط١ ، ١٩٩١ م ، ص ٦٦ .

أما عقيدة الكارما (العمل) فالبوذية تؤمن بالسببية ، فتنفي الصدف مشددة على أن لكل شيء علة أو عللاً ، ولكل علة نتيجة ... عقيدة الكارما بجعل الفرد متحملاً وحده عاقبة عمله ، جانياً وحده ثمار تلك الأعمال ، وتكرار المولد والعودة مرة أخرى إلى الحياة ، هو ثمرة العقيدة الكارمية التي هي المنطلق نحو الإشراق[1] .

فقانون (كارما) يتطلب حالات جديدة من التقمص للروح لكي يتاح لها أن تكفر عما اقترفت من شرور في حيواتها الماضيات، وإذا استطاع الإنسان أن يعيش حياة يسودها عدل كامل ، لو استطاع أن يحوم بفكره حول ما هو أبدي خالد ، ولا يرتبط هواه بما يبدأ وينتهي عندئذ يجوز أن يجنب نفسه العودة إلى الحياة .

إن العقل ليقر انه لابد من جزاء لما يرتكبه الإنسان من أخطاء، لكن الإسلام اتخذ طريقاً رائعاً حيال هذا الموضوع، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧)وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨)فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩)وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ(١٠)نَارٌ حَامِيَةٌ(١١) ﴾[2]صدق الله العظيم

والفكر الهندي يقرر أن الروح في الحياة الجديدة لهى مقطوعة تماما عنها في حياتها السابقة ، فلا تعرف عنها شيئاً ، أي أن الروح تنعم وتشقى دون أن تعرف أسباب النعيم أو الشقاء .

أما النرفانا فهي الهدف الأسمى الذي وصل إليه بوذا ، والذي بحث عنه كثيراً وهو التخلص من تكرار المولد ، وهذا يتمثل في قتل الشهوات والرغبات ، والتوقف عن عمل الخير والشر .

---

(١) د. على زيعور ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣ .
(٢) سورة القارعة ، آية من ٦ – ١١ .

ويتحدث بوذا عن النرفانا فيقول لمريديه : أيها المريدون ، هي طور لا ارض فيه ولا ماء لا نور فيه ولا هواء ... الخ .

وعلى ذلك فالنرفانا هي :

وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه ، والقضاء على جميع رغباته المادية ، وبعبارة مقتضبة هي الكمال .

ومن هنا نبه بوذا على أن النرفانا صعبة المنال في حياة واحدة ، فهي تستلزم أكثر من تناسخ ، وأكثر من حياة .

إلا أنني أرى مع أن البوذية تدعو إلى ضبط النفس وحرمانها من جميع الملذات والشهوات أياً كان نوعها ، إلا أن ذلك يكلف الطبيعة البشرية ما لا طاقة لها به .

كما أنني أرى أن النرفانا هذه ما هي إلا خيال لا أساس لها من الصحة ، حيث إن بوذا ينكر الروح ويميل إلى إنكار الله أكثر من إثباته ! فعلاما إذاً تكون النرفانا ؟ ! .

المبحث الخامس
فكرة البعث في الديانة الجانتيه

حياة الإنسان كلها عناء ... فالميلاد عناء ، والمرض عناء ، والموت عناء، .. وللقضاء على هذا العناء يكون بالتخلي عن جميع الرغبات حتى يستطيع الإنسان أن يعد نفسه لأعظم سعادة روحية وهي النرفانا .

لكن ما هي نظرة "ماهافيرا" للحياة بعد الموت ؟

اعتقد " ماهافيرا " أن لكل الأحياء روحاً إلا أنه قال : حتى الأشجار والماء والنار والخضر لها هي الأخرى أرواح ... بل قال أيضاً : إنه إذا عاش الإنسان حياة غير صالحة .... فإنه لا يولد بعد وفاته من جديد في جسم خنزير أو ثعبان أو ضفدعة فحسب ... بل قد يولد ثانية فيجد نفسه جزرة أو بصلة أو حتى بنجرة(١) ...

ومن حيث الجنة والنار ، فقد قال " ماهافيرا " أن هناك في الأعماق تحت سطح الأرض جحيماً من سبع طبقات ، كل طابق دون الآخر ، وأشد هولاً ، وكلما كانت الروح أشد شراً وجدت نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم .

أما الروح الصالحة فترتفع إلى إحدي الجنات الست والعشرين، وعندما تصبح الروح غاية في النقاء والصلاح ، تزداد خفة حتى تصل إلى الجنة السادسة والعشرين ... عندئذ تدخل النرفانا.

(١) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

والانتحار نعمة حيث قال " ماهافيرا " : " إذا التزم الجينى بالرياضات النفسية في دقة وصرامة اثني عشر عاماً ... يسمح له بنعمة الانتحار ... والاستمتاع بسعادة الموت جوعاً ...! [١] .

فالموت جوعاً منزلة سامية تدل على أن الجانتي قد وصل إلى أسمى درجات الزهد والتقشف ، وتؤدي إلى تحرير روحه تحريراً تاماً ، وإنقاذه من هذه الحياة وعدم اضطراره إلى أن يحيا مرة أخرى .

تؤمن الجينيه بخلود الروح خلوداً أبديا ، وخضوعها للثواب او العقاب لما يرتكبه صاحبها .

والكارما كائن مادي يخالط الروح كأنه يمسك بتلابيبها ، ولا سبيل لتحرير الروح إلا بشدة التقشف والحرمان من الملذات في كل مرحلة من مراحل الحياة ، وهذا هو تحرر الروح وحياتها حياة أبدية حرة ، وللوصول إلى هذا الهدف يظل الإنسان يولد ويموت حتى تطهر نفسه وتنتهي رغباته[٢] .

ومن حيث الحسنة والسيئة :

فالحسنة هي فعل الخيرات كإطعام المساكين ومساعدة المحتاجين ، ونتيجة ذلك تتحقق في الدنيا بإسباغ البركة ، الغني والصحة على الإنسان ، ومنها ما يتحقق في حياة قادمة ، أما السيئة فهي إرتكاب الأعمال الخبيثة والفواحش ، ومنها الكذب والسرقة ، ونتيجة ذلك ، الفقر والتناسخ في أشخاص تعساء أو في حيوانات أو جمادات .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٦٢ .
(٢) د. أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

والنجاة عن طريق التطهير من أوساخ الشهوات الحيوانية ، والتخلص من تكرار المولد ، عن طريق التمسك بالخير والتخلي عن ارتكاب الشر .

والجديد الذي أضافته الجانتية ولم يكن موجوداً في البوذية هو الاستمتاع بنعمة الموت جوعاً ، وعدم الاضطرار إلى الحياة المستقبلية ، كما أن ثواب الحسنة والسيئة في الجينيه يكون في الدنيا والآخرة ، وليس في الآخرة وحدها .

(المبحـــــث السادس)
فكرة البعث في الديانة الهندوسية

إذا كان الإنسان صالحاً في الحياة الدنيا فسيجازى عن صلاحه هذا في الحياة الأخرى ....!

فعندما يموت الإنسان تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوه ، فإذا كان الإنسان ممن يحيون حياة طيبة صالحة ولد في طائفة أعلى . بينما يولد في طائفة أدنى إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر(١).

وإذا ما استمر الإنسان يحيا حياة فاسدة بعد حياة أخرى أكثر فساداً ! مثل هذا الإنسان يولد في طائفة أدني من طائفته مرة بعد أخرى . وقد يولد عليلاً ليظل يشقى طوال حياته جزاء وفاقاً ... بل لا بأس من أن يولد حيواناً ، أو فيلاً إن كان في غاية في السوء ، ومن ثم يولد كلباً بعد موته، ويظل ينحدر حتى يولد برغوثاً أو بعوضة...!

ويحكم هذا كله قانون الحياة – حيث إن جزاء الخير خير مثله ، وعقاب الشر شر مثله ، وهذا هو قانون " الكارما " .

أما الذي يحدث للمرء إذا هو استمر يحيا حياة صالحة بعد حياة صالحة أخرى ! فإذا كان رجلاً من طائفة غاية في الانحطاط ويحيا حياة طيبة فإنه يولد في المرة الثانية في طائفة أعلى ، وإذا ظل مواظباً على الصلاح ، يرتفع مرة بعد أخرى حتى يصبح كاهناً برهمياً وعندئذ لا يولد مرة أخرى إذا استمر في صلاحه بعد أن أصبح كاهناً برهمياً ، وتتحد الروح مع براهما الإله وهذا ما يسمى بالنرفانا.

---

(١) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ص ٨٤ – ٨٥ .

ومن هنا جاء تناسخ الأرواح كما يؤمن بها الهندوسي ، فالروح تتقمص عديداً من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حتى تصل إلى هدفها النهائي ... وتنطبق نظرية التناسخ على كل الكائنات سواء كانت بشرية أو حيوانية أو حشرية أو نباتية ... فكلها يحكمها قانون واحد ... ولا تختلف روح عن أخرى إلا بقدر ما يقوم صاحبها به من أعمال .

فجميع أعمال البشر ، خيراً كانت أو شراً ، لابد أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب ويكون الجزاء في هذه الحياة الدنيا ، أو في الحياة الآخرة عن طريق التناسخ للأرواح كما بينت سابقاً ...." والروح في عالمها الجديد لا تذكر شيئاً عن عالمها السابق ، وقد تسرب لقول بالتناسخ إلى قلة من المسلمين وتسرب إلى بعض فرق الشيعة القول بالرجعة ، أي رجوع الشخص جسماً وروحاً للحياة بعد الموت .

والجديد الذي إضافته الهندوسية إلى كل من البوذية والجانتيه ، أن الهندوسية لا تعترف صراحة بوجود إله أياً كان هذا الإله ، كما أن التناسخ على كل الكائنات كما وضحت سابقاً ، وليس على الإنسان وحده .

كما أن زوجة الإله " شيفا " عندما تكون غاضبة فإنها تصب غضبها ونقمتها على المجرمين المذنبين ، وهذا نوع من العقاب في الدنيا ، وعندما تكون راضية ، فإنها تمنح الحب والتسامح والكرم ، ويستطيع المتعبدون التقرب إليها بتقديم التضحيات ، ونحر الذبائح أمام معابدها ، وهذه التضحيات كانت في أول الأمر بشرية، غير إنها بعدئذ اكتفت بضحايا الماعز[1] .

(١) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ص ٩٦ – ٩٧ .

والجديد في الهندوسية أيضا ، أن الهندوسية دين له قدسيته وتعاليمه وشعائره ولكن ليس له نبي مرسل ، كما أن كتبه المقدسة من وضع حكماء من البشر ،وفضلاً عن ذلك فالهندوسي لا يعتبر خارجاً عن دينه إذا لم يصدق بالثواب والعقاب في الآخرة ، كما أنه يستطيع أن يترك كثيراً من المراسيم والشعائر المقدسة ، وليس هناك رئيس دينى يحاسب المخالفين بالطرد والحرمان من الغفران(١).

كما أن الهندوسي لا يخشى الموت ، لأن حياته لن تنتهي بموته ، ومن مبادئ الهندوسية " الكرما " ! فالأعمال الصالحة تكون له زاداً في الحياة التالية لذلك نجد الهندوسي عندما تحين منيته يقبض على ذيل البقرة حتى يدخل الجنة(٢).

(١) محمد مرسي أبو الليل ، الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ، القاهرة مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٥ م ، ص ٥٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٩ .

(المبحث السابع)

فكرة البعث في الديانة الزرادشتيه

للإنسان حياتان : واحدة في الحياة الدنيا ، والأخرى حياة بعد الموت نصيبه منها نتيجة لأعماله في حياته الأولى ، وقد أحصيت أعماله في كتاب، وعدت سيئاته ديوناً عليه[١] .

وعندما يموت الميت تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال تحلق فوق جسده وتنعم أو تشقى تبعاً لأعماله ، ولذلك تقام الشعائر الدينية في هذه الأيام إيناساً للروح ، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح إما معطرة وإما نتنه حسب عمله ، فتحملها إلى موضع تلتقي فيه بفتاة جميلة ، وإما عجوز مفزعة ، وهي صورة أعمال الميت الذي يقوده حيث معبر الحساب والحكم الأخير ، وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة (ميترا – سرا إش – براشنو) وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت ، وفي الأخرى سيئاته ، وعندما ترجح كفة الخير عن كفة السيئات يدخل الإنسان الجنة ، وإلا ذهبت إلى عذاب الجحيم .

وإن تعادلت سيئاته مع حسناته ذهبت الروح إلى الأعراف إلى يوم الفصل وهو مكان فسيح بين السماء والأرض يقاسون فيه ألم الحر والبرد ، ويحسون بجميع التغيرات الجوية، ويظلون ينتظرون في أمل ورهبة الحكم الأخير .

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٥ ، ١٩٩٤ م ، ص ١٠٢

وعند الحساب تمر النفس على صراط ممدود على شفير جهنم ، وهو للمؤمن عريض سهل المجاز، وللكافر أدق من الشعرة، فمن آمن وعمل صالحاً جاز الصراط بسلام ولقي أهورامزدا فأحسن لقاءه ، وأنزله منزلاً كريماً ، و إلا سقط في الجحيم ، وصار عبداً لأهرمان[١].

والذي يسلك طريق الإله الواحد يجب أن يكون طاهراً في أفكاره وأعماله ، محسناً يساعد المحتاجين ، ويفلح الأرض ، ويربي الماشية ، ويكون رحيماً بالحيوانات ... وثواب الأعمال الصالحة هذه لا يكون في الدار الآخرة وحدها بل أيضاً في الحياة الدنيا .

ويوم القيامة قريب ، ونهاية الحياة ليست بعيدة ، وسيجمع " أهورامزدا " قوته ويضرب إله الشر ضربة قاضية ، ويعذبه في الجحيم هو ومن أطاعه .

والذي يعلن إقتراب القيامة شخص يدعى " ما أشيان " ، وسوف يحيي الأرواح ويقوم بمحاكمتها المحاكمة الأخيرة ، ثم يصب على الأرض سيلاً من المعادن المذابة وتشتعل الحرب بين أهرمان ، وأهورامزدا ، ويكون الفوز الأكيد من نصيب أهورامزدا ولكي يوفق الإنسان بعد الموت ، ولكي يساعد كل إنسان أهورامزدا بقدر استطاعته فعليه أن يتبع الأصول الثلاثة (الفكر الطيب – القول الطيب – العمل الطيب) [٢] .

---

(١) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
(٢) حسن بيرنيا ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ .

والجديد في فكرة البعث عند زرادشت أن الروح ليست فانية . كما أن الديانة الزرادشتيه توجب الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور ، والحساب ، والجنة ، والنار وأن الساعة ستقوم على أثر إصطدام كوكب الأرض ، فتميد بالناس ، وتخر الجبال هدا وتذوب العناصر ، ويفنى أهرمان وأنصاره من الشياطين ، ويمر الناس شقيهم وسعيدهم وسط العناصر المذابة ، ويجدها الصالحون برداً وسلاماً[١] .

والديانة الزرادشتية ترى إن نفس الإنسان خلقها الله ، وتستطيع أن تنال الحياة الأبدية السعيدة إذا حاربت الشرور في العالم الأرضي ، فقد منحها الله حرية الآرادة ، وقد دعا زرادشت الإنسان أن يختار بين أن تكون له روح خيرة تملأ نفسه بالخير والنور ، وأن تكون له روح شريرة تميل إلى الشر والظلام . وقال زرادشت : إن الإنسان سينال الجزاء في الآخرة بقدر جهاده لنصرة الخير على الشر، والنور على الظلمة ، وبذلك فإن زرادشت كان مؤمناً بالبعث والجزاء في الآخرة[٢] .

كما أن هناك عذاب القبر في الديانة الزرادشتيه ، فالعمل الصالح في القبر كالمرأة الحسناء التي يفوح عبيرها ، والعمل السيئ كالمرأة الشمطاء التي تفوح رائحتها ، كما لو كانت أكداس قاذورات ، ثم الصراط للتنقية ، بعد ذلك يقضي على الرذائل نهائياً ، وتستأنف الحياة مرة أخرى على الأرض ، وتكون الأرض منبسطة لا جبال فيها ولا حر ولا ثلج وستكون الحياة كلها عدل ،

(١) على عبد الواحد وافي . الأسفار المقدسة . القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٩٨٣ ، ص ١٦٩ .

(٢) حسن محمد جوهر، محمد مرسي أبو الليل ، إيران ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م ، ص ١١ .

خالية من الآلام ، خالية من الخوف والأحقاد ، ثم لا يكون موت بعد ذلك لأنها حياة أبدية ، ليس فيها ظلم ، ولا خلافات ، ولا كذب ، ولا حماقات ولا معاناة ويكون إله النور وحده هو الحاكم الأعلى[1] .

(١) للإستزادة أنظر . عظماء الأديان ، ص ص ٥٠- ٥١ .

(المبحث الثامن)

المجتمع الهندي بعد بوذا ، مهافيرا ، براهما

لا شك أن البوذية أحدثت ثورة حينما نادت بهدم النظام الطبقي ، ويظهر ذلك جلياً في :

نظام اللاطبقية في التشريع البوذي وسياسة المجتمع المفتوح ، وإظهار قيمة الإنسان الحقيقية في رفض الطبقات ، ومفاضلة الناس حسب سلم أصلهم ، وقد قال بوذا :

" ليس المنبوذ منبوذاً بالولادة ، وليس البرهمي برهمياً بالولادة ، بل بالأعمال "(١)

وهذه الثورة من بوذا رد جليل على البراهمة الذين يقسمون المجتمع إلى طبقات أعلاها طبقة البراهمة ، رجال الدين ، كما أن نظام الطبقات كان نظاماً عالمياً لا برهمياً فقط ففي اليابان مثلاً كانوا لعهد قريب يرون ملوكهم من سلالة الآلهة المتجسدة بالشمس ، وجنة سواهم في الأرض .

وقد أحدثت البوذية أثار أخرى في المجتمع الهندي منها :

١-تشجيع بوذا للزراعة والغرس :

من أقوال بوذا في هذا المجال ، قول خالد قريب من الفطرة : " لا تنزع الغصن من الثمرة ، فطوبى لليد التي تزرع ، وعار على التى تسئ "(٢) .

---

(١) د. على زيعور ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ ، نقلاً عن : إنجيل بوذا ص ٢١٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٣ .

وهذا يوضح دعوته للإهتمام بالأرض والإعتناء بالأشجار ، والغابات لمنفعتها الصميمة للإنسان ، وخاصة في الهند حيث تتكرر المجاعات .

فتعاليم البوذية شمولية ؛ تهتم بروح الفرد وأخلاقه ، وبسلوكه في مجتمعه ثم تهتم بالمجتمع ، وثروته ، وتنظيم الجماعة ، وإعداد البيئة واستصلاح الأرض .

٢- الحث على العلم :

يرى بوذا وسيلة واحدة تدفع عن الإنسان خطر التناسخ ، تلك الوسيلة هي العلم غير المحدود ، الذي يشمل القوانين الروحية ، والطبيعية ... والمعرفة في البوذية ذات دور بناء في حياة الإنسان وتطور المجتمع .

وقد انتشرت البوذية في عهد بوذا انتشاراً واسعاً بين الطبقات العليا والدنيا على السواء ، لكن البوذية بدأت في الانكماش بعد بوذا ، ومن أسباب هذا الانكماش أنها لم تعن بالكلام عن الإله ، فلجأ الأتباع إلى عبادة بوذا نفسه واتخاذه إلهاً .

ويتصل بهذا أيضاً أن بوذا لم يبني معابد ، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة ، مما دفع أتباع بوذا إلى معابد الهندوس ، وإضافة تمثال لبوذا في تلك المعابد .

ومن أسباب ضعف البوذية في الهند أيضاً، أن البوذية اهتمت بإصلاح الأخلاق فحاربت الشهوة، والغرور، والكبرياء ،... لهذا تخلى البوذيون يوماً بعد آخر عن صراعهم مع أنفسهم ، وأكتفوا بقربان يقدمونه أو مظهر ديني يظهرون به كما ترى الهندوسية .

ومما ساعد الناس في إقبالهم على البوذية ؛ أنها دين إنقاذ وطهر ، يمنح بالنرفانا اللذة والسعادة في الحياة الدنيا وبعد الموت

بالدخول في الغبطة الأبدية التي ليس بعدها توالد ورجوع إلى الحياة الدنيا .

يجب أن أقرر ذي بدء أن البوذيين لا يدعون أن الكتب البوذية المقدسة أنها منزلة من عند الله ، وإنما ينسبونها إلى بوذا ، وهي عبارة عن أمثال وحكايات وآراء بوذا فيما وراء الطبيعة ، ويقال لها " قانون بالي " .

أما مهافيرا فلم يكن يؤمن بالصلاة أو الآلهة ... إلا أن الأتباع بنوا عدة معابد ووضعوا فيها تماثيل حجرية لماهفيرا ولغيره من المبشرين ... شقوا طريقهم في التجارة خاصة إقراض النقود وأعمال الصرافة .

القوم الذين يؤمنون بهذه العقيدة غاية في الرحمة ، والعطف والنقاء ، وحينما يذهب الجينى ليصلي أمام التماثيل فإنه يدعو بالسلام والإبتهاج لجميع المخلوقات قبل أن يطلب أي فضل لنفسه ، وليس ما يطلبه لنفسه الثراء أو المجد ، بل هبة النرفانا .

لكنني أعيب على الجينية لوجود تناقض : أن يحرص الجينيون بالغ الحرص على حياة كل حشرة وكل دابة ، ثم يجعلون انتحار الرهبان جوعاً قربي من القربات .

إن العقل البشري يميل إلى الاعتراف بإله ، وأتباع مهافيرا اعتبروه إلهاً من دون الله .

أما الذين جاءوا بعد براهما ؛ هم المصلحون الدينيون ، جاءوا ليصلحوا من أمر العقيدة بعد أن تعلموا الكثير من أصول الإسلام والبرهمة ... أمثال "راماناند" الذي بشر بأنه ليس هناك سوى إله واحد ، وان الحياة البسيطة هي الطريق إلى النرفانا ، وأمثال "كبير " الذي قال ".. طالما أن الناس يجهلون المعرفة الحقة لإله واحد ، فهم

يجدون أنفسهم مرغمين على عبادة آلهة صغيرة ، فإذا كنتم تعبدون بضعة آلهة من الحجارة ، فكل الحجارة جاءت من الجبل، ولهذا سأعيد الجبل[١] .

وقد عاب " كبير " على براهمة الهند لأنهم يعتقدون أنه محرم على كل من كان من طائفة عليا أن يأكل أو يشرب من وعاء لمسه أحد أفراد الطبقة السفلى ... وأخذ يدعو الناس جميعاً ، ويؤكد لهم أنهم أخوة ... لا فرق بين برهمي وكاهن ، وتاجر ومنبوذ .

وعلى الكهنة والرهبان أن يعملوا لكسب القوت ، لا أن ينتظروا ويتسولوا حتى يعولهم الآخرون .

فعقيدة " كبير " التي كان يبشر بها الناس ... التخلي عن الزهد ، والكبرياء ونبذ نظام الطائفية ، وأن يهجروا الأصنام وعبادتها ، وأن يؤمنوا بإله واحد ولا شريك له .

(١) سليمان مظهر ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

(المبحث التاسع)
المجتمع الفارسي بعد زرادشت

بينما كان في الهند آلاف من الرهبان يعيشون على الصدقات، ومع هذا ينالون حظاً عظيماً من الإكبار والتبجيل ، لم يكن في إيران من يجرؤ على الحياة على الصدقات .

كتاب زرادشت المقدس سمَي " بالافستا " ويعتقد الزرادشتيون الذين يسمون الآن بالمجوس أن عقيدتهم هي أفضل عقيدة في العالم.. بل أنهم يحرمون على أي إنسان لم يولد زرادشتياً أن يعتنق هذا الدين ، ولا زال الأتباع يقدسون النار والتراب والأرض ، والماء كرموز للإله ، وهم قوم ذوو أخلاق سامية وآداب رفيعة تشهد بما كان للدين الزرادشتي من أثر عظيم في تهذيب الناس وتمدينهم وإيمانهم بالخير .

ومن مبادئ زرادشت أن أشرف عمل للإنسان الزراعة والعناية بالماشية وحرم على أتباعه الصوم لأنه يضعفهم عن العمل، وقد ظهر على يديه معجزات كثيرة مثل : إبرائه لأمراض وعاهات يعجز الطب العادي عن شفائها وكان ذلك سبباً في انتشار الدين الزرادشتي .

وممن قال إن المجوس أهل كتاب – سيدنا – على بن أبي طالب ، وسيدنا حذيفة وسعيد بن المسيب وقتاده ... ويكفي عن ذلك صحة أخذ الرسول – صلى الله عليه وسلم – الجزية منهم . إلا أنه قد أدخل على الديانة الزرادشتية كثير من التحريف والتبديل .

الزرادشتي له طقوس وعبادات في كثير من شئون حياته الخاصة كالأكل والنوم، والاستيقاظ، وعليه أن يبقى نار الموقد في داره مشتعلة لا تخبو ... كما أن الشريعة الزرادشتية تحث على العمل والسعي في مناكب الأرض لكسب الرزق وإنتاج الثروة خاصة الإنتاج

الزراعي وتربية الماشية .. توجب صيانة النفس والمحافظة على الصحة تحرم الإنتحار تحريماً باتاً بعكس الجانتيه ... تحث على تعدد الزوجات ليكثر النسل ويزداد عدد الجنود المحاربين في سبيل النور .

ظهر مانى بعد زرادشت ، وقد نشأت عند مانى فكرة وجوب تخليص النفس من الجسم ، أو إنهاء هذا العالم المادي باضعاف النوع البشري وإبادة النسل بواسطة حظر الزواج دعا إلى الزهد ، كل ذلك من وسائل التخريب والتدمير ، وبذلك سار على نهج مخالف لنهج زرادشت .

وظهر " مزدك " كذلك ، حيث تأثر بمذهب مانى في بعض نواحيه وخالفه في آرائه الاجتماعية، فأعلن وجوب إعتناق الشيوعية المغالية، وصرح بأنها هي وحدها الوسيلة إلى إبادة الشر، إذ أن الحقد الذى يأكل قلوب بنى البشر والحرب التي تمزق أشلاء أحد الأخوين بيد الأخر لا مصدر لهما إلا الأموال والنساء ، فإذا ألغيت الملكية وأصبح المال والمرأة مباحين لجميع الأفراد بلا قيد أو شرط ، وطهرت القلوب من الحقد إلى الأبد ووضعت الحرب أوزارها إلى نهاية الوجود .

الخاتمة

لا شيء جديد عند بوذا : التعاليم وطرق التفكير ، وأنماط الفهم والعمل وجدت قبله لكن بوذا يتميز بشخصية فذة تظهر في مراحل عمره ودعوته ، لقد استوعب كل ما تلقفه مما جعل تعاليمه تبدوا أصيلة ، وتنفتح على العالم وشتى الطبقات والأعراق بل والكائنات الحية قاطبة .

كان بوذا ضد الطبقية والتفرقة العنصرية والدينية . وقد ساعد في عالمية الدعوة أن توفر لبوذا العزم والإرادة ، وتعليم وتدريب الحواريين ، وإرسالهم للعالمين ، ومن عالميتها عرفت مصر وسوريا ، وفلسطين العقيدة البوذية قبل المسيحية .

وقد كان الهدف الأسمى لبوذا هو القضاء على الرغبة ، وعلى إرادة الحياة ومن ثم البلوغ إلى النرفانا ، إلا أن البوذية لم تهتم بالمعارف التي تزيد روابط الإنسان بالحياة ، أو تزيد ثروته المادية والفكرية ، وإنما اهتمت بمعرفة الإنسان كيف يتخلى عن كل روابطه .

لكن من الإنصاف أن أقول ، على الرغم ما تنطوي عليه البوذية من غموض وضعف، هي ديانة خلقية ، تدعو إلى الاستمساك بكثير من الفضائل التي تسمو بروح الإنسان وتباعد بينها وبين الشهوات المادية ، وتجعلها بذلك تحيا حياة سعيدة بريئة من الهموم والأحزان .

ولكني آخذ على هذه الديانة بعض مواطن الضعف ، حيث أنها ليست كالزرادشتية مثلاً ديانة إيجابية تدعو في إصرار إلى الجد في كسب الرزق ، والاختلاط بالناس والزواج والتناسل .

ولا تعتبر البوذية إضافة في صميم العقائد الدينية ، . بل إضافة في آداب السلوك وفلسفة الحياة ، وكان مما ميزها أنها كانت

تدعو إلى التسامح، وهي لا تزال تحتل قلوب الملايين من بنى البشر، وإن كانت قد تبدلت تماماً ، وخضعت لأهواء الشعوب التي اعتنقتها كالصين مثلاً ، وبعض الشعوب أدخل فيها عبادة النساء والبعض الآخر أدخل فيها عبادة الفيلة محتجاً أن بوذا قد تقمص أجسادها مرات متعددة ، والبعض الآخر جعل من شعائرها أن يباح للكهنة القديسين كل موبقة مهما بلغت فداحة ما فيها من : عهر ومجون ، وما دام الكاهن يرى أنه لا يحس أثناء هذا الفجور بسرور . !!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً

أما الفرس فقد اعتقد بعضهم أنهم أصل النسل ، وقد اهتم الفرس منذ القدم بالدين وجعلوه في المرتبة الأولى من حياتهم ، أما الهندوسية فهي أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد والمعتقدات ، ولذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار .

وفي نهاية بحثي المتواضع أقول أن جميع الأديان القديمة ترى أن الحياة الدنيا تعاسة والعيش فيها ذل والجميع يقولون بتكرار المولد عدا الزرادشتية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المراجع

١ – أحمد أمين . فجر الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٤ م .

٢ – د. أحمد شلبي . أديان الهند الكبرى . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٣ م .

٣ – أرثر كريستنسن . إيران في عهد الساسانيين . بيروت ، ترجمة د. يحيي الخشاب مراجعة عبد الوهاب عزام ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ م .

٤ – جفري باندر . المعتقدات الدينية لدى الشعوب . الكويت ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٣ م .

٥ – حامد عبد القادر . بوذا الأكبر حياته وفلسفته . القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٨٦ م .

٦ – حسن بيرنيا . تاريخ إيران القديم . القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٢ م .

٧ – حسن محمد جوهر ، محمد مرسي أبو الليل . إيران . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .

٨ – سليمان مظهر . قصة الديانات . القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٥ م .

٩ – د. عبد الجليل شلبي . عظماء قادة الأديان . القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٩١ م .

١٠- عبدالكريم الخطيب . الله والإنسان . دار الفكر العربي، بلا تاريخ .

١١- د. على زيعور . الفلسفات الهندية . بيروت ،دار الأندلس ، ١٩٨٣ م .

١٢- على عبد الواحد وافي . الأسفار المقدسة . القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ م .

١٣- ول ديورانت . قصة الحضارة . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨ م .

١٤- محمد مرسي أبوالليل. الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها. القاهرة مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٥ م .